هوامش

في 18 مارس/ آذار من عام 1915 شنّ الأسطولان الإنكليزي والفرنسي حملة على مدينة جناق قلعة الواقعة على مضيق الدردنيل. لعب المتطوّعون العرب دوراً حاسمًا في هذه المعركة

صورة ماخوذة في فبراير 1915 تظهر استعداد الجنود الفرنسيين للمعركة (Getty)

جناق قلعة
معركة غيّرت وجه التاريخ

إسطنبول ـ **عدنان عبد الرزاق**

لم يشارك أهل بلاد الشام، وخصوصًا محافظتي إدلب وحلب، في حرب خلال حكم الدولة العثمانية، مثلما شاركوا في معركة جناق قلعة، رغم أنّها ليست الحرب الوحيدة التي خاضتها شعوب الإمبراطورية من خارج تركيا، وذلك منذ أنْ أعلن السلطان محمد رشاد مطلع آب/ أغسطس 1914، النفير العام خلال الحرب العالمية الأولى، أو ما يعرف في منطقة الشام بالسفر برلك. فجناق قلعة، وفق المؤرخ التركي، أنس دمير، كانت معركة الحسم، معركة البقاء أو الزوال، لأنها خط الدفاع الأول والأخير عن إسطنبول التي وعد الإنكليز الروس بتسليمها. وقدمت حلب وحدها، بحسب كتاب دمير 972 ضحية خلال السفر برلك حصة معركة جناق قلعة 551 شهيداً، أي أكثر مما قدمته 41 ولاية موجودة في يومنا هذا ضمن أراضي الجمهورية التركية. دمير الذي يفصّل بكتابه عن المعركة، يلفت إلى فتوى الجهاد التي أطلقتها مؤسسة الخلافة آنذاك، ولقيت تأييداً كبيراً من قبل المسلمين في البلقان والشرق الأوسط والقوقاز وشمال أفريقيا وشبه الجزيرة العربية. لكن ولاية حلب ومناطق إدلب والباب، كان لها الدور البارز بالبسالة وتحقيق النصر، كما فعل الجندي الحلبي، مصطفى بن محمد الذي أرّخ الكاتب التركي مآثره البطولية. واليوم معركة جناق قلعة لدى الأتراك حتى اليوم، ذكرى خاصة وتختلف ربما عن جميع المعارك التي خاضها العثمانيون، أو التي تلت الإمبراطورية خلال حرب الاستقلال التي قادها مؤسس الجمهورية، مصطفى كمال أتاتورك.

والسبب برأي أستاذة التاريخ، سيهان بولكجو، أن خسارة تلك المعركة كانت ستغير من ملامح التاريخ والجغرافيا حتى اليوم، فسقوط إسطنبول التي كانت المرجعية الدينية في العالم الإسلامي، والعاصمة السياسية والإدارية للدولة العثمانية، يعني هزيمة لمنطقة وتاريخ الحضارة الإسلامية. لذلك رأينا، وفق كتب التاريخ والوثائق، الالتفاف حول السنجق الشريف (راية يعتقد أنها استخدمت من قبل النبي محمد) جمعت متطوعين من جميع الدول الإسلامية وقتذاك.

ومن المرويات التركية التي تسترجع خلال كل احتفال بمناسبة معركة جناق قلعة، وانتصار الدولة العثمانية على الحلفاء (بريطانيا وفرنسا ونيوزيلندا وأستراليا) ومنع الوصول إلى إسطنبول ضمن ما سماه الحلفاء «حملة غاليبولي»، قصة المقاتل سيد علي، والذي ينسب له فضل في تغيير مجرى المعركة وإغراق سفينة.

وتقول كتب التاريخ التركية، إن سيد علي هو الجندي المسؤول عن المدفعية في معقل روملي في شبه جزيرة غاليبولي الذي أصابه وابل القصف، فتكسرت الرافعة التي تحمل القذائف. فما كان من الجندي، إلا أن حمل قذيفة بوزن 215 كيلوغراماً على ظهره، ووضعها في فوهة المدفع لتتسبب في غرق سفينة فرنسية من أسطول التحالف. وتشير المذكرات إلى أنه طُلِب من الجندي سيد علي، بعد انتهاء المعركة، أن يحمل القذيفة التي يتجاوز وزنها الـ200 كيلوغرام من أجل تصويره، فلم يستطع حملها. وصُنِعَت من أجل الصورة قذيفة خشبية. وقال الجندي إنه «لو حصلت معركة أخرى، لحملتها».

وتقول المتخصصة بولكجو لـ«العربي الجديد» إنّ معركة جناق قلعة تأخذ أهميتها من نواح عدة، فهي كانت المعركة الفاصلة بالنسبة للدولة العثمانية، بعد اتحاد جيوش أوروبية عدة، وتصميمها على دخول إسطنبول. ولهذه المعركة ذكريات خاصّة مثل عدم كشف قوة المدفعية العثمانية خلال الاختبار الإنكليزي الذي سبق المعركة، ومفاجأة تلغيم مياه المضيق، وعدد القتلى الذي تجاوز نصف مليون بين الطرفين.

لكن سبب أهمية المعركة واستمرار الاحتفال بها حتى اليوم، هو لأنها كانت منطلق حملة الإنكليز والفرنسيين نحو إسطنبول. البداية كانت من جناق قلعة ثم بحر مرمرة ثم البوسفور ثم مدخل البحر الأسود للوصول للشمال الشرقي من تركيا، ومساندة روسيا ضد ألمان، وتأمين وصول المؤن والذخائر، بعد أن تكبدت القوات الروسية خسائر كبيرة. ويعني ذلك أنَّ «جناق قلعة بدلت الخطط وربما غيّرت التاريخ». ومن أهمّ الأعمال السينمائيّة حول المعركة، فيلم «عراف الماء» The Water Diviner الذي قام ببطولته الممثل النيوزيلندي الشهير راسِل كرو، والذي تناول قصّة المزارع الأسترالي جوشوا كونور الذي يبحث عن أطفاله الثلاثة المفقودين في أعقاب المعركة.

باختصار

قدمت حلب وحدها، بحسب كتاب دمير، 972 ضحية خلال سفربرلك، منهم 551 في معركة جناق قلعة

■■■

سيد علي هو الجندي المسؤول عن المدفعية في معقل روملي في شبه جزيرة غاليبولي الذي أصابه وابل القصف

■■■

سبب أهمية المعركة واستمرار الاحتفال بها حتى اليوم، هو لأنها كانت منطلق حملة الإنكليز والفرنسيين نحو إسطنبول

وأخيراً

شاكر عبد الحميد... روح مصر العاقلة

محمود الرحبي

رحل، الخميس 18 مارس/ آذار الجاري، الأكاديمي والناقد المصري، شاكر عبد الحميد، بعد إصابته بفيروس كورونا، وكان رحيله مفاجئًا، فامتلأت «شوارع» في وسائل التواصل الاجتماعي (إن صح التعبير) بالسواد، وبنبرات الحزن ومفاعيل الصدمة. ترك الراحل، إلى جانب سيرته الاجتماعية الطيبة، مؤلفات قيمة في علم نفس الإبداع، وهو الاختصاص الذي اختطه في تفكيره وعمله الأكاديمي، بل وأسس قواعده العربية من خلال كتابه التأسيسي «علم نفس الإبداع»، وبذلك قدح زناد مساقٍ جديد، صار له مريدوه وممتهنوه في عالمنا العربي، يمكن، على سبيل المثال، ذكر الأكاديمي المغربي حسن المودن.

امتازت مؤلفات شاكر عبد الحميد، في هذا المجال، بالموسوعية، وخصوصا المؤلفات المهمة التي صدرت عن سلسلة عالم المعرفة في الكويت، ككتابي «الغرابة: المفهوم وتجلياته» و«الخيال: من الكهف إلى الواقع الافتراضي»، وهي بحوث قيّمة تدلل على علو كعبه في مجاله ووعيه بأهميته.

لم يكتف بالبحث في لغته العربية، وإنما نقل إليها عدة كتب قيمة، في تأمل الصورة والنص والأنثربولوجيا والأساطير وغيرها، ومن أهم ما ترجم كتاب «الأسطورة والمعنى» الذي يوضح فيه واضع علم الأنثربولوجيا البنيوية، الفرنسي كلود ليفي شتراوس، أنه لا توجد قطيعة بين العلم والأسطورة، بل على العلم أن يبحث عن الحقيقية في كل ما يراه أسطوريا.

ولا يُنسى حديثه الذي فاجأ العالم في ما يتعلق بالعين المدرّبة. ولاحقا ترجم كتابا في غاية الفائدة والمتعة، وهو دراسة أسلوبية في مراتب الضوء في الإبداع، حمل عنوان «قبعة فيرمير» للكندي تيموثي بروك، وهو بحث في لوحات الفنان الهولندي فيرمير، أحد فناني القرن السابع عشر، ومن أشهر لوحاته «الضابط والفتاة الضاحكة»، وقد صدر الكتاب عن مشروع كلمة في أبوظبي عام 2012، ووضع له شاكر عبد الحميد مقدّمة رصينة تنم عن اجتهاد، حين توصل إلى أن أول من التفت إلى تقنية «الغرف المظلمة» هو العالم والفيلسوف المسلم، الحسن بن الهيثم.

وإذا كان الراحل على مستوى البحث يعتبر عالما في مجاله، وهو على المستوى الاجتماعي كذلك، يمكن أن نطلق عليه قطبا يجذب حوله كل الفرقاء على نقائضهم. وذلك بما يتمتّع به من روح مصرية أصيلة، وبابتسامته التي تسبقه وسماحته الظاهرة على محياه، وكذلك لما تميز به من كرم اجتماعي ملفت. وأتذكر في أثناء إقامته في مسقط، أستاذا في جامعة السلطان قابوس، أنه لم يكن منعزلا بين الجامعة وفيلات المدرسين الملحقة ضمن حرمها، بل كان يغادر أسوارها، ولا يهتم بكل تلك العزلة، ويخترقها بالالتقاء بالفنانين والمبدعين العُمانيين من مختلف الأعمار. كانت روحُه أقرب إلى روح الشاعر، فحتى الذين يراهم أول مرة يُشعرهم، بطريقة من الطرق، بأنه يعرفهم. وأتذكر لقائي به أول مرة، حين كنت عائدا من الدراسة في المغرب.

> كانت روحُه أقرب إلى روح الشاعر، فحتى الذين يراهم أول مرة يُشعرهم، بطريقة من الطرق، بأنه يعرفهم

عرّفني به الصديق القاص العُماني، يحيى سلام المنذري، حين فوجئت منه بأنه قرأ لي قصصا، وأنا لم أنشر بعد كتابا، لأكتشف أنه ترأس تحكيما لمسابقةٍ نظمها النادي الثقافي في مسقط، وقد شاركت فيها بمجموعتي الأولى مخطوطا.

توالت الكتابات في سائل التواصل الاجتماعي عن الراحل، وكان بعضها يرقى إلى مستوى المقالة، كما فعل صديقه حسين حموده، حين كتب مقالا تأثريا فوريا بعنوان «شاكر عبد الحميد مسيرة المحبة»، مفصلا فيه علاقته الخاصة بالراحل، وموردا مواقف تدل على مكانته الكبيرة في قلوب أصدقائه وطلبته. وهو ما فعلته الشاعرة الإماراتية المقيمة في القاهرة، ميسون صقر، والشاعر والناقد العراقي، علي جعفر العلاق، وكثيرون يصعب هنا حصرهم وحصر أهم ما كتبوا في نعيه. ولكن جميع الكتابات تدل على أن الرحيل كان مفاجئا لعالمٍ أمضى الشطر الأعرض من حياته في التأليف والترجمة، ناهيك عن المقالات الكثيرة، وفي مجالات مختلفة، كالفلوكلور والسخرية والإدمان والواقع الافتراضي، ما يؤكّد أنه كاتب مهموم ومشغول في تأمل جوانب عديدة في الحياة، على شاكلة ما كنا نراه عاليا عند الكاتب الفرنسي رولان بارت.

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**